محاضرة الرئيس السابق للاتحاد السويسري باسكال كوشبان
بعنوان
"لبنان وسويسرا: مصيران متقاطعان"
13تشرين الأول 2015

نظمت مؤسسة بيت المستقبل في الساعة السادسة من مساء أمس الواقع فيه 13 تشرين الأول، أكتوبر 2015 في مقرها في سرايا بكفيا محاضرةً ألقاها الرئيس السابق للاتحاد السويسري باسكال كوشبان بعنوان "لبنان وسويسرا: مصيران متقاطعان."

إفتتح الرئيس جميل اللقاء بالقول: "على الرغم من الوضع الصعب، يتحمل لبنان مسؤوليته كرسالة حرية وانفتاح (...) على النضال أن يستمر وهنا يندرج دور "مؤسسة بيت المستقبل" وهو مركز للثقافة والبحوث، بهدف إيجاد مستقبل أفضل للبنان والمنطقة، وتطوير قيم السلام والحرية والديموقراطية واحترام التعددية".

كما وأعان الرئيس جميل عن موضوع المؤتمر السنوي المقبل لمؤسسة بيت المستقبل الذي سيُنظّم في شهر أيار، مايو من العام 2016 بعنوان "مئة عام بعد سايكس بيكو"، مضيفاً: "إن موضوع مؤتمرنا يندرج في إطار مسيرة لبنان التي تذكرنا بمسيرة سويسرا. هدفنا هو احترام التعددية وتحقيق اللامركزية والحياد، هذا الحياد الذي ليس فعل سياسة فحسب بل فعل إيمان يحمل في ذاته المبادئ والقيم التي حفظت لبنان على الرغم من تاريخ من الحروب التي زعزعته. حيادنا ليس حياداً انعزالياً بل حياداً منفتحاً يسمح للبنان بأن يضطلع بدوره في العالم العربي بهدف المشاركة في حل الأزمات."

عبّر السيد كوشبان في بداية مداخلته عن "إعجابه بلبنان الذي يعيش تحت وطأة توافد اللاجئين السوريين بأعداد كبيرة، وسط منطقة تشوبها الصعوبات، وهو مع ذلك لا يزال صامداً في وجه هذا الضغط الديموغرافي الهائل. لا يسعنا إلا أن نعبّر عن إعجابنا بالاحترام الذي يكنّه اللبنانيون لإخوانهم في الشقاء المجبرين على اختيار المنفى. وعلى هذا الإعجاب أن يشمل كذلك إيطاليا، التي تستقبل آلاف اللاجئين، بالإضافة إلى اليونان الذي يتعامل مع المشكلة بكثير من الكرامة والفاعلية. تخيّلوا وصول 200 إلى 300 لاجئ فرنسي إلى لوزان: لست متأكداً ما إذا كانت سويسرا ستتمكن من مواجهة المشكلة بهذا الكمّ من الكرامة التي أظهرتموها في لبنان."

"لطالما فكرت: بأي حق يمكنني أن أحكم على ما يجري في لبنان، على واقع لم أعيشه؟ ولهذا السبب ستتركز مداخلتي على ما تمكنت سويسرا من تحقيقه، ولكنني لست متأكداً كذلك من قدرتي على إدارة الحوار بين من يرغبون بتنفيذ الفدرالية في لبنان ومن يختارون اللامركزية أو الحفاظ على الوضع الراهن."

بدايةً قدم السيد كوشبان لمحة تاريخية عن سويسرا منذ حرب مارينيان حتى فترة الانتداب الفرنسي التي استمرت طوال 200 عام: "في تلك الحقبة، كان يتمتع سفراء فرنسا بحق الفيتو في السياسة الوطنية. تميزت تلك الفترة بركود سياسي استمر حتى الثورة الفرنسية (...) مع توسع خدمة العملاء المأجورين لسويسرا في الخارج. في تلك الحقبة كان يُقال في أوروبا إن الكونفدرالية السويسرية يحكمها ارتباك البشرونعمة الله. أتساءل أحياناً أن الشرق الأوسط في وضع مشابه، فما الذي يحتاج إليه أكثر؟ مؤيداً من النعمة الإلهية أو من الارتباك البشري؟"

وأكمل: "في نهاية القرن الثامن والعشرين، كانت سويسرا غير فعالة بتاتاً ومشلولة. كانت القوات الفرنسية قد احتلت سويسرا وأطاحت بالنظام السابق. وعندها ولدت الجمهورية المركزية الهلغتيكية الموحدة. كان البلد خاضع لسلطة لجنة من سبعة أعضاء في نوع من السلطة الجماعية التي كانت من دون شك النموذج السوفياتي الوحيد الناجح."

"أطاح الفرنسيوون بالهيكليات النقليدية وبدأت الثورات تظهر في مناطق عديدة حتى تدخل نابوليون (عبر الوساطة في العام 1803) لإعادة إحلال النظام الفدرالي القديم إلى حدّ ما. أما الفترة بين 1815 و1848 فتميزت بالإرباك الليبرالي لأقلمة الهيكليات السياسية للبلد. وشيئا فشيئاً بدأت المؤسسات تتغير. إندلعت حرب

أهلية وجيزة وغير دموية نسبياً بين المقاطعات الليبرالية والمقاطعات الكاثوليكية إستمرت لثلاثة أسابيع.
ولبلورة حالة الإرباك التي كان يعيشها النظام، ذكّر كوشبان بأن "القرات الكاثوليكية المحافظة كان يقودها بروتستانتي."
وأضاف: "كيف تشكلت الدولة بعد ذلك؟ أولاً من دون انتقام، ومن خلال تشكيل أنظمة راديكالية مع إصلاح ديموقراطي للنظام (...) تمحورت الجهود حول التعليم. كان لدينا خياران: إمام توطين الجامعات أو تقديم شيئاً جديداً، وهكذا رأى معهدين فنيين النور لتشكيل سويسرا جديدة تتمتع بتقنيات جديدة مثل السكة الحديدية والكهرباء... تحول البلد بفضل نخبة من الناس المنفتحين على الحداثة والتكنولوجيا والعلوم... وهذين المعهدين الذين كانت تملكهما الكونفدرالية قد كانا مركز حوار مشوّق، ما ساهم في ولادة الروح الوطنية للكونفدرالية".
"حاول السويسريون بين العامين 1850 و1900 التأسيس لروح وطنية تتخطى الطوائف، أي تأسيس الوحدة عبر جمعيات وطنية كبرى للغناء والرياضة والرماية تتخطى الحدود اللغوية أو الطائفية. وبمساعدة مؤسسي نظرية مارينيان الذين يعتبرون أن هذه المعركة كانت بداية الحياد السويسري، تمكنت سويسرا شيئاً فشيئاً من نفح روح الوحدة الهيلفيتيكية (...) إذاً لقد حاولنا بمجموعة من الرموز التي اتخذت طابعاً حيّاً من خلال تقاربها من الجماهير: المعهد الفني، الجيش الفدرالي، وإرادة القول بأن ما يجمعنا أكثر مما يفصلنا. وفي دولة حديثة، بغية استحداث حسّ وطني مشترك، يجب على المساعدة الاجتماعية أن تكون منتج المجتمع الوطني وليس منتج مجموعة خاصة، كي يستفيد كل فرد من الازدهار العام، وهذا ما نطبقه عبر صيغة مالية، ما يعني أن الكانتونات الأكثر ثراءً في الكونفدرالية السويسرية تساعد الكانتونات الأكثر فقراً التي تبلغ عائداتها أقل بـ80% من متوسط العائدات الوطنية كي تتمكن السلطات الكانتونية التي تهتم بالتعليم الابتدائي والطرقات الفرعية وجزء من الأمن الاجتماعي، أن تلبي واجباتها التضامنية."
"لا يمكن لنظام كهذا أن ينجح إلا إذا كان لدينا ثقة بالسلطة المركزية. كيف نبني الثقة؟ من خلال الحذر من السلطة السياسية، ومن هنا ضرورة تبرير كل وأي نفقة. على سبيل المثال، يحصل الوزراء سنوياً على مبلغ للنفقات الإضافية، كما يحصلون شهرياً على بيان للنفقات. إذا تم تخطي المبلغ السنوي وهو بمقدار 25 ألف دولار تقريباً، يطلب رئيس الكونفدرالية منهم التبرير."
وشدد كوشبان على أن "الدولة غير متحيزة. لقد طوّرنا منذ القدم مشاركة كل القوى السياسية في الحكومة. ولكن عندما ننتمي إلى الحكومة، نتخلى عن الرابط الوثيق بالحزب ونعتمد دوماً على مواقف الحكومة التي تُتخذ بموافقة الغالبية."
إن المصطلحات المفاتيح هي إذاً الثقة والمجهود الفكري والمجهود الاجتماعي وتواضع النظام السياسي.
"لا يعني الحياد السويسري رفض تكوين الآراء والأحكام بل رفض المشاركة في أي نزاع مسلح. لسنا حياديين إيديولوجياً ولكننا لا نشارك في التحالفات ونقدم أراضينا كمساحة وطنية للتلاقي."
واختتم السيد كوشبان مداخلته بالتساؤل: "هل هذه الأمور قابلة للنقل إلى الشرق الأوسط؟ المخرج الوحيد هو في الحفاظ على السلم الأهلي. لديكم فرصة إثبات إمكانية وجود التسامح والاعتراف السياسي بالآخر في هذه المنطقة الحساسة من العالم."
ويعد المحاضرة جرى نقاش مع الجمهور تلاه كوكتيل للمناسبة.